Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

جدلية المركز والهامش في السرد الحديث: تمثلات الإقصاء وإعادة إنتاج الذاكرة الجمعية

رشا ابراهيم هزاع كاظم فتلاوي
طالبة دكتوراه, قسم اللغة العربية, جامعة الاديان والمذاهب, قم, ايران
rashalamani987@gmail.com
أ.د. ميثم إيراني
m.irani@urd.ac.ir
أ.د.حسن رحماني
hassan69rahmani@gmail.com

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص

يتناول هذا البحث جدلية المركز والهامش في الشعر العربي الحديث من منظور تحليل الخطاب النقدي كما بلوره نورمان فيركلاف، ساعيًا إلى الكشف عن الآليات اللغوية والدلالية التي يُعاد عبرها إنتاج السلطة أو مساءلتها داخل النص الشعري. ينطلق البحث من فرضية مفادها أن الشعر الحديث لا يكتفي بتمثيل التوتر بين المركز والهامش، بل يعيد تشكيله عبر استراتيجيات خطابية تُفكك البنى المهيمنة وتمنح الصوت للذوات المُقصاة. واعتمدت الدراسة منهجًا تحليليًا يستند إلى مستويات فيركلاف الثلاثة: تحليل البنية النصية، وتتبع الممارسات الخطابية، وربطها بالسياقات الاجتماعية والثقافية المنتجة لها. وقد أظهرت النتائج أن الخطاب الشعري الحديث يوظف الانزياح اللغوي، وإعادة بناء الضمائر، وتكثيف الرموز الجمعية بوصفها أدوات لإعادة توزيع المعنى، بما يؤدي إلى إزاحة المركز من موقعه الأحادي وفتح المجال أمام تمثيلات بديلة للهوية والسلطة والذاكرة. وتخلص الدراسة إلى أن جدلية المركز والهامش في الشعر الحديث ليست ثنائية جامدة، بل عملية دينامية تُعاد صياغتها باستمرار داخل البنية الخطابية للنص.

الكلمات المفتاحية: المركز والهامش، الشعر العربي الحديث، تحليل الخطاب النقدي، السلطة، الهوية

Abstract:

This study examines the dialectic of center and margin in modern Arabic poetry through the lens of Critical Discourse Analysis as developed by Norman Fairclough. It seeks to uncover the linguistic and semantic mechanisms through which power is reproduced or contested within the poetic text. The research proceeds from the assumption that modern poetry does not merely represent the tension between center and margin, but actively reconstructs it through discursive strategies that deconstruct dominant structures and grant voice to marginalized subjects. The study adopts an analytical approach grounded in Fairclough's three-dimensional model: textual analysis, examination of discursive practices, and interpretation of the broader social and cultural contexts that shape and are shaped by the text. The findings reveal that modern poetic discourse employs linguistic deviation, the reconfiguration of pronouns, and the intensification of collective symbols as strategic tools for redistributing meaning. Such mechanisms contribute to displacing the center from its singular position and opening space for alternative representations of identity, authority, and memory. The study concludes that the center–margin dialectic in modern poetry is not a fixed binary, but a dynamic process continuously renegotiated within the discursive structure of the text.

Keywords: center and margin, modern Arabic poetry, Critical Discourse Analysis, power, identity

المقدمة:

تشكل جدلية المركز والهامش في الخطاب الأدبي المعاصر حقلاً خصباً للدراسات النقدية التي تسعى إلى فهم آليات إنتاج المعنى وتوزيع السلطة داخل النصوص، حيث تتحول العلاقات الاجتماعية والسياسية غير المتوازنة إلى بنيات لغوية ورمزية تعيد إنتاج التراتبيات القائمة أو تقوضها من خلال استراتيجيات خطابية مقاومة، ويبرز النص الأدبي بوصفه فضاءً تتجلى فيه صراعات الهوية والانتماء، وتتمثل فيه آليات الإقصاء التي تمارسها السلطة على الأصوات المهمشة، كما يتحول إلى موقع لإعادة إنتاج الذاكرة الجمعية عبر استدعاء الماضي وتأويله بطرائق جديدة تتحدى الخطاب الرسمي المهيمن، وتحظى التجارب الشعرية العراقية المعاصرة بأهمية خاصة في هذا السياق، نظراً لما شهدته الساحة العراقية من تحولات جذرية على المستويين السياسي والاجتماعي، لا سيما في حقبة ما قبل عام ٢٠٠٣ وما بعدها، مما أنتج خطابات شعرية معقدة تحاول استيعاب هذه التحولات والتعبير عنها بأساليب متنوعة، وتقدم تمثلات عميقة للإقصاء وآليات مقاومته، كما تعيد إنتاج الذاكرة الجمعية بوصفها فعل مقاومة ضد محاولات الطمس والنسيان، وتتخذ هذه الدراسة من أعمال ثلاثة شعراء عراقيين هم محمد

حسين آل ياسين، وعارف الساعدي، وعلي الإمارة، نموذجاً للكشف عن تجليات جدلية المركز والهامش في الخطاب الشعري، مركزة على تمثلات الإقصاء بوصفها أدوات خطابية تعيد إنتاج التراتبيات الاجتماعية، وعلى استراتيجيات إعادة إنتاج الذاكرة الجمعية بوصفها فعلاً مقاوماً يواجه خطابات الهيمنة، وتنطلق الدراسة من إطار نظري مركب يجمع بين تحليل الخطاب النقدي عند نورمان فيركلاف، ومناهج التأويل والتفكيك، ومقاربات المركز والهامش في الفكر ما بعد البنيوي، بهدف الكشف عن العلاقات المعقدة بين البنى اللغوية والسلطة والإقصاء والذاكرة داخل النص الأدبي، ورصد التحولات في هذه الاستراتيجيات تبعاً لتغير السياقات التاريخية والاجتماعية، وتراهن الدراسة على أن المقاربة التأويلية المتعددة المستويات قادرة على الإحاطة بتعقيدات الظاهرة المدروسة، وتقديم قراءة معمقة لكيفية تحول النص الشعري إلى فضاء للصراع بين المركز والهامش، وإلى موقع لإنتاج ذاكرة بديلة تقاوم النسيان وتعيد تشكيل الوعي الجمعي.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من معالجته فجوةً في الدراسات النقدية العربية عبر تحليل جدلية المركز والهامش في الخطاب الشعري العراقي المعاصر، بوصف الإقصاء آلية خطابية تعيد إنتاج التراتبيات الاجتماعية والسياسية. كما يكتسب البحث أهميته من تركيزه على تجارب شعرية تمثل مرحلة تاريخية مفصلية، مما يتيح رصد تحولات تمثلات الإقصاء وإعادة إنتاج الذاكرة الجمعية تبعاً لتغير السياقات، إلى جانب إسهامه في تطوير المنهج النقدي من خلال توظيف تحليل الخطاب النقدي عند نورمان فيركلاف في قراءة نصوص شعرية معاصرة.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى تحليل تمثلات الإقصاء في الشعر العراقي المعاصر، والكشف عن استراتيجيات إعادة إنتاج الذاكرة الجمعية وعلاقتها بجدلية المركز والهامش. كما يسعى إلى بيان كيفية تحول الهامش إلى موقع لإنتاج خطاب مقاوم، ورصد أنساق المقاومة الرمزية وتوظيف الرموز التراثية والدينية والأسطورية، مع تتبع التحولات في هذه الاستراتيجيات قبل عام ٢٠٠٣ وبعده في ضوء تغير السياقات السياسية والاجتماعية.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الكشف عن كيفية تجلي الصراع بين المركز والهامش في الخطاب الشعري العراقي، وتحليل الآليات اللغوية والبلاغية التي يتم عبرها تمثل الإقصاء وإعادة إنتاج الذاكرة الجمعية، في

ظل قصور منهجي في الدراسات السابقة، وتعقّد السياق العراقي الذي تتصارع فيه خطابات متعددة حول تشكيل الهوية.

السؤال الرئيسي:

كيف تتجلى جدلية المركز والهامش في الشعر العراقي المعاصر، وما دور تمثلات الإقصاء واستراتيجيات الذاكرة في تشكيل خطاب مقاوم؟

الأسئلة الفرعية:

تتناول الأسئلة الفرعية الآليات اللغوية لتمثل الإقصاء، ودور الذاكرة الجمعية واستحضار الماضي، ووظيفة الرموز التراثية والدينية، وتفاعل البنى اللغوية مع السياقات الاجتماعية، والتحولات التي طرأت على هذه الاستراتيجيات قبل ٢٠٠٣ وبعده.

منهج البحث:

يعتمد البحث منهجية مركبة تجمع بين تحليل الخطاب النقدي عند نورمان فيركلاف ومقاربات المركز والهامش، مع توظيف التأويل والتفكيك لدراسة المستويات الصرفية والتركيبية والبلاغية وربطها بالسياقات الاجتماعية والسياسية للكشف عن تعقيدات الخطاب الشعري العراقي المعاصر.

المبحث الأول: تمثلات الإقصاء في بنية المركز والهامش

تتأسس جدلية المركز والهامش في الخطاب الشعري العراقي المعاصر على نسق معقد من العلاقات الدلالية التي تعكس صراعاً عميقاً بين خطابات السلطة المهيمنة وخطابات المقاومة المهمشة، حيث يتجلى الإقصاء بوصفه آلية خطابية تسعى إلى تهميش أصوات وفئات اجتماعية بأكملها، وتعيد إنتاج التراتبيات الاجتماعية والسياسية عبر اللغة والصور الشعرية. ويظهر ذلك جلياً في شعر عارف الساعدي الذي صوّر معاناة المهمشين والمنسيين في قصيدته "منسيون" حيث يقول "المنسيّون / أبناء أشباه المدن / أبناء المدن الصفيح / أبناء الكلب / مائدة الحروب والشتائم"[١]، وهنا تتجلى تمثلات الإقصاء من خلال سلسلة من التراكيب الإضافية التي تعيد إنتاج التراتبية الاجتماعية، فوصفهم بـ"أبناء أشباه المدن" يحمل دلالة عميقة على أنهم لا ينتمون إلى المدن الحقيقية بل إلى أشباهها، أي إلى مساحات هامشية لا تعترف بها السلطة المركزية، وتصعيد الوصف إلى "أبناء الكلب" يكشف عن أقصى درجات الإقصاء التي تصل إلى نزع الصفة الإنسانية عن هذه الفئة، وهو ما يتماشى مع نظرية فيركلاف

حول "الإقصاء الخطابي" كأداة للهيمنة الأيديولوجية التي تعيد إنتاج علاقات القوة غير المتوازنة في المجتمع،

وتتعدد تمثلات الإقصاء في النصوص المدروسة لتشمل الإقصاء المكاني والزماني والاجتماعي والثقافي، ففي شعر محمد حسين آل ياسين نجد صورة الشاعر المهمش الذي يعيش في "الموقد" مكان الاحتراق والهامش، حيث يقول:

وأنفض عن موقـــدي جمـــرَهُ أمنِّيه بالصيـــــــــف أنْ يلهـبـــــا[٢]

فالموقد هنا ليس مجرد مكان مادي بل هو استعارة للذات الشاعرة المهمشة التي تحتوي على جمر العواطف والرغبات في زمن الخراب، وهذا التوظيف المكاني يعكس ما يسميه فوكو بـ "الفضاءات الأخرى" التي تنتجها السلطة لتهميش المعارضين والمختلفين، وتتجلى أنساق الإقصاء في شعر علي الإمارة[٣] من خلال توظيف رمزية "المقهى" كفضاء ثقافي مهمش، حيث يقول "في هذا المقهى / يلتقي أدباءُ المدينة / لا توجدُ كراسي للجلوس / ولا ألعابُ تسلية / ولا شاي للشرب / لهذا / فقد عاجلنا الموقف / فجلسنا على كراسي وهميّة / وتسلّينا بهمومنا"[٤]، فالمقهى هنا يتحول من فضاء مركزي للحوار الثقافي إلى هامش يفتقر لأبسط مقومات الوجود، ومع ذلك يتمسك به الأدباء كملاذ أخير، مما يعكس استراتيجية خطابية للمقاومة تحول الهامش إلى موقع لإنتاج المعنى البديل، وهذا ما يؤكده فيركلاف في مفهومه عن "الخطاب المضاد" الذي يعيد تشكيل الواقع الاجتماعي من خلال كشف التناقضات الأيديولوجية الكامنة في النصوص[٥].

وتتخذ تمثلات الإقصاء بعداً وجودياً عميقاً في قصيدة "أماكن فارغة" لعلي الإمارة، حيث يبني الشاعر هوية كاملة على فكرة الفراغ والتهميش، في قوله "هنا / في هذا المكان الفارغِ / وُلِدتُ / وفي مكانٍ أكثر فراغاً. / وُلِدَ أبي / نحنُ أبناء الأماكن / الفارغة / لباسُنا التراب / وكلامُنا صدى / ليس لنا حدود"[٦]، وهنا تتجلى أيديولوجيا الإقصاء المتوارث عبر الأجيال، فالولادة في المكان الفارغ تحدد الهوية وتشكل الذات، والانتقال إلى "مكان أكثر فراغاً" مع الأب يكشف عن تراكم المعاناة وتصاعد الإقصاء عبر الزمن، وتقديم الجار والمجرور "هنا" في بداية النص يحقق وفق المنهجية التأويلية انزياحاً دلالياً يركز على المكان الهامشي كأساس للهوية، مما يؤسس لخطاب مقاوم يرفض الاندماج في المركز ويفتخر بانتمائه إلى الهامش[٧]، وتتكشف آليات الإقصاء السياسي في شعر عارف الساعدي من خلال صورة "المساكين واليتامى" الذين "حملوا الحرب / فوقهم أعواما / نزفوا عمرهم / بلابل سكرى / واكتفوا أن يُقال عنهم نشامى"[٨].

وهنا نجد نقداً لاذعاً لخطاب السلطة الذي يستغل معاناة المهمشين لتحقيق مكاسب رمزية، حيث يتحول وصف "النشامى" إلى تعويض معنوي رخيص عن الإقصاء المادي والاجتماعي، وهذا التوظيف يعكس ما يسميه فيركلاف بـ "إعادة إنتاج الهيمنة" عبر الخطاب، حيث تستخدم السلطة اللغة لتحويل القهر إلى بطولة والمأساة إلى مناسبة للفخر الوطني الزائف[٩]، وتبرز تمثلات الإقصاء في شعر الساعدي من خلال صورة الطفل المهمش الذي يبحث عن أبيه في مقبرة النجف، حيث يقول "أبتي قد جئتُك فاحملْ وجعي الوسنانَ على شفتي / خلفتُ الأحياء ورائي / وأتيت إليكْ"[١٠]، فالانتقال من عالم الأحياء (المركز) إلى عالم الأموات (الهامش) يمثل هروباً من واقع قاسٍ إلى فضاء بديل، وتكرار كلمة "أبتي" في سياق المناجاة والاستعطاف يؤسس لخطاب عاطفي يكسر هيمنة الخطاب الرسمي الجاف ويعيد الاعتبار للعلاقات الإنسانية الأولية كملاذ أخير في مواجهة الإقصاء والاستبداد[١١]، وتتخذ تمثلات الإقصاء بعداً لغوياً في شعر علي الأمارة من خلال توظيف المصدر الميمي "ملامح" الذي يحمل في بنيته الصرفية دلالة الجزئية والتشظي، حيث يقول "هكذا كانت البدايةُ / استعاروا يدي للتصفيق / ثمّ جاؤوا فاستعاروا الثانية / ... / أمّا الآن / فلم يبق منّي / سوى ملامح"[١٢]، فالملامح كمصدر ميمي تحيل إلى ما تبقى من الذات بعد تآكلها التدريجي تحت وطأة السلطة التي تستعير أعضاء الشاعر واحداً تلو الآخر حتى لا يبقى منه سوى ملامح باهتة.

وهذا الإقصاء الجسدي المقترن بحضور رمزي باهت يعكس أزمة الهوية في ظل الأنظمة الشمولية التي تحول الإنسان من كيان متكامل إلى مجرد وظائف وأجزاء قابلة للاستهلاك، والدلالة الصرفية للمصدر الميمي تحمل أيضاً بعداً زمنياً، فالملامح هي ما يبقى بعد الفناء، وهي الأثر الذي يشهد على وجود سابق، مما يجعل المصدر يحمل دلالة الاستمرارية رغم التلاشي[١٣]، ويكتمل نسق الإقصاء في هذه النصوص من خلال توظيف الرموز التراثية والأسطورية كآليات لاستدعاء الماضي واستحضار الحاضر الغائب، ويظهر ذلك في قصيدة الساعدي "نار إبراهيم" حيث يستدعي شخصية النبي إبراهيم ومدينة أور الأثرية ليخلق حضوراً غائباً للعراق الحضاري في مواجهة العراق المعاصر المأزوم، في قوله "يا إبراهيم / ليتك لم توحدْ الرب / ساعتها لكفيتنا النار التي أُعِدَّتْ لك / ليتك لم تفعلها / لكنا بعيداً عن النار التي / أدمنتها أور"[١٤]، فالهامش هنا يتمثل في الخيارات التاريخية المصيرية التي لو اختلفت لربما تغير مسار الحضارة برمتها، واستخدام صيغة التمني "ليتك" مع الفعل المنفي "لم توحد" يكشف عن رغبة في إعادة كتابة التاريخ وإحياء إمكانيات بديلة للمستقبل، وهذا الحضور الغائب للماضي يمثل مقاومة للخطاب التاريخي الجبري الذي يقدم الماضي كقدر محتوم لا يمكن تغييره، فالشاعر من خلال هذا التوظيف الأسطوري يعيد فتح إمكانيات التاريخ ويخلق حضوراً ممكناً للمستقبل من خلال استدعاء ماض بديل.

المبحث الثاني: إعادة إنتاج الذاكرة الجمعية عبر خطاب المقاومة

تتأسس آليات إعادة إنتاج الذاكرة الجمعية في الخطاب الشعري العراقي المعاصر على استراتيجيات خطابية معقدة تتجاوز مفهوم التوثيق التاريخي المجرد لتصبح أداة للمقاومة والكشف عن أنساق الهيمنة المستترة، فالذاكرة هنا ليست مجرد استدعاء للماضي، بل هي إعادة تشكيل للوعي الجمعي من خلال تقديم روايات بديلة تتحدى الخطاب الرسمي المهيمن، ويظهر ذلك جلياً في شعر محمد حسين آل ياسين الذي يوظف الرموز الدينية والتاريخية لإعادة إنتاج الذاكرة الجمعية الإسلامية، كما في قصيدته "النبوية" حيث يقول:

أشـــرقَ الوعـــدُ فاسْتفاقتْ شِعابُ وَجَلا ظلمـــةَ الزمـــانِ شِهابُ

طال عهدُ الصحـــراءِ بِالجَدْبِ حتى أدمنتْهُ فكلُّ بـــــرقٍ ســـــرابُ[١٥]

فالماضي النبوي هنا لا يمثل مجرد أحداث تاريخية، بل هو حضور غائب يستدعى لمواجهة ظلمة الحاضر وتفككه، والإشراق والضياء يمثلان قيماً روحية مفقودة في الواقع المعاصر، وهذا الاستدعاء للتراث الديني لا يهدف إلى التمجيد التاريخي المجرد، بل يسعى إلى إعادة إنتاج المعنى في سياق معاصر يعاني من أزمة قيم وهوية، ويتماهى هذا التوظيف مع ما يسميه فيركلاف "التناص" بوصفه آلية لإنتاج الخطاب من خلال استدعاء نصوص سابقة وإعادة تشكيلها في سياقات جديدة[١٦]، وتتعدد استراتيجيات استحضار الذاكرة الجمعية في النصوص المدروسة لتشمل استدعاء الشخصيات التراثية والأسطورية، وفي هذا السياق تبرز قصيدة علي الإمارة "المعتزلة واصل بن عطاء" حيث يستدعي شخصية واصل بن عطاء[١٧] مؤسس الاعتزال كرمز للعقلانية والتحرر الفكري، في قوله "واصلٌ فينا / وفينا جاحظٌ / ولنا في جوهر الأمر صلة / بسياط العقل روضنا الهوى / وبفحواه حسمنا المسألة"[١٨]، فحضور واصل بن عطاء والجاحظ في النص المعاصر ليس مجرد استدعاء تراثي، بل هو حضور نقدي يعيد إحياء تراث العقلانية والتسامح في مواجهة خطابات التطرف والانغلاق التي سادت بعد عام ٢٠٠٣، و"بسياط العقل" تعبير قوي يؤكد على أسبقية العقل في مواجهة النقل والتقليد.

وهذا الحضور للتراث العقلاني يمثل مقاومة خطابية للتيارات التي تسعى إلى احتكار الحقيقة وتكفير المخالفين، وتقديم الجار والمجرور "لنا" في "ولنا في جوهر الأمر صلة" يؤسس لحضور جماعي يمتد جذوره في عمق التاريخ، مما يعزز من شرعية هذا الخطاب العقلاني وقدرته على مواجهة التحديات

المعاصرة، وتتجلى إعادة إنتاج الذاكرة الجمعية في شعر عارف الساعدي من خلال توظيف المكان بوصفه حافظاً للذاكرة، كما في قصيدته "في مقبرة النجف" حيث يتحول المكان المقدس إلى فضاء لاستحضار الذاكرة الفردية والجمعية، في قوله "أفزعتَ الموتى / أقلقتَ هدوء مساكنهم / ونشرتَ الريحَ بأعينهم / فأفاقتْ بعض بقايا الصوتْ / وأزاحتْ عنها عطر الموتْ"[١٩]، فالمقبرة هنا ليست مجرد مكان للدفن، بل هي ذاكرة حية تنبض بالأصوات والآلام، واستخدام الأفعال الماضية "أفاقت" و"أزاحت" يحمل دلالة البعث والإحياء التي تتناقض مع السياق الجنائزي للمكان، مما يعيد إنتاج الذاكرة كحضور حي وليس كماض منقضٍ، وهذا التوظيف يتماشى مع مفهوم فيركلاف حول "الخطاب والهوية" حيث تساهم الاختيارات اللغوية في تشكيل الهويات الاجتماعية وإعادة إنتاجها، وتتخذ الذاكرة الجمعية بعداً أسطورياً في شعر علي الإمارة من خلال توظيف شخصية ابن سيرين[٢٠] كرمز لتأويل الأحلام والكوابيس، حيث يقول "إفتِنا في كوابيسنا / فإنّا نحاول أن نعبر الوهم / لكن جسر الكلام يضيق / ربّما / في زهور المقابر / أرواحنا تستفيق"[٢١] فاستدعاء ابن سيرين هنا ليس لمجرد الفتوى الدينية، بل لاستنطاق التراث الثقافي في فهم كوابيس الحاضر، و"زهور المقابر" تحمل دلالة التناقض بين الموت والحياة، مما يعكس قدرة الذاكرة على إنتاج الحياة من رحم الموت، وهذا الاستخدام للرمز الديني والثقافي يكشف عن استراتيجية خطابية تهدف إلى إعادة تشكيل الوعي الجمعي من خلال ربط الحاضر بالماضي المقدس. وتتجلى آليات إعادة إنتاج الذاكرة في شعر آل ياسين من خلال توظيف المصادر الميمية والمصادر الصناعية كأدوات لتكثيف المعنى وتجسيد الأحداث التاريخية، كما في استخدامه للمصدر الميمي "مطمح" و"المنال" في قصيدة "أنا والزمان" حيث يقول:

ولي مطمح كان صعب المنال فذلل عزمي صعب المنالِ

شكا لي صدر الجمال العراء فقلدت بالشعر صدر الجمالِ[٢٢]

فالمصدر الميمي هنا يحمل دلالة مكانية وزمانية تجسد الطموح الجماعي للأمة، وتكرار "المنال" يؤكد على أهمية هذا المفهوم في بناء الخطاب، ويشير إلى استراتيجية خطابية تهدف إلى تثبيت فكرة التحدي والانتصار على الصعوبات، وهو ما يتماشى مع السياق الثقافي والسياسي للعراق في تلك الفترة التاريخية، ويكتمل نسق الذاكرة الجمعية في هذه النصوص من خلال توظيف الرموز الطبيعية كعناصر حافظة للذاكرة، ويظهر ذلك في قصيدة علي الإمارة "الفاو" حيث يستخدم صورة البحر والجذور كرموز

للثبات والاستمرارية، في قوله "تمدّدْ مع الأرض / كي تتحسس حكمة هذا الثرى / كلّ ذرة عشق هنا حدث وحديث / ... / دمٍ في عروق الشوارع يمتدُّ / حتى نهاية هذي البلاد / إلى أن ترى البحر مستنفرا"[٢٣]، فحضور الأرض والدم والجذور يمثل مقاومة طبيعية لمحاولات اقتلاع الذاكرة وطمس الهوية، و"دم في عروق الشوارع" استعارة قوية تحول المدينة من كيان مادي إلى كائن حي ينبض بالذاكرة ويقاوم النسيان، ودعوة التمدد مع الأرض تحمل دلالة الاندماج والتماهي مع المكان كأساس للحفاظ على الذاكرة الجمعية.

وهذا الحضور الطبيعي للرموز يعكس ما يسميه فيركلاف "الخطاب البيئي" الذي يستثمر عناصر الطبيعة كأدوات لمقاومة خطابات التدمير والإبادة التي تمارسها السلطات المختلفة[٢٤]، وتبرز إعادة إنتاج الذاكرة الجمعية في شعر الساعدي من خلال توظيف الحلم كفضاء بديل للذاكرة، كما في قصيدته "حلم" حيث يقول "وصاحبتُ بعض الصغار / وضُربت كثيراً / وصرختُ بوجه المعلم في قاعة الدرسِ / كلُّه كان حلْماً بليغَ الخطا"[٢٥]، فالحلم هنا يتجاوز وظيفته النفسية الفردية ليصبح فضاءً لاستحضار الذاكرة المكبوتة، والضرب والصراخ يمثلان أفعالاً محظورة في عالم اليقظة تحت وطأة السلطة القمعية، لكنها تتحقق في فضاء الحلم الذي يؤسس لحضور بديل للذاكرة المقموعة، وتكرار كلمة "كثيراً" مع أفعال العنف والمعاناة يكشف عن تراكم القهر الذي لا يجد متنفساً سوى في عوالم الحلم واللاوعي، وهذا التوظيف للحلم يعكس استراتيجية خطابية تهدف إلى خلق ذاكرة بديلة تتجاوز قيود الواقع[٢٦]، وتصل إعادة إنتاج الذاكرة الجمعية إلى ذروتها في شعر علي الإمارة من خلال توظيف الرمز المسيحي في قصيدته "مسيح" حيث يقول:

أصيـح بكم ويؤلم ما أصيـــــحُ بأنّا سوف يعلنـــنـــا المسيـــحُ

لأنّا قد تركـنـــــاه وحيـــــدا يضيق بعينـــه الأفـق الفسيـــحُ[٢٧]

فالمسيح هنا ليس مجرد رمز ديني، بل تجسيد للعراق المصلوب والمهجور، والكنائس المتساقطة ترمز إلى انهيار المؤسسات والقيم الروحية، وهذا التوظيف للرمزية الدينية في إطار وطني يعيد إنتاج الذاكرة الجمعية المسيحية كجزء من النسيج الثقافي العراقي المتنوع، مما يؤكد على أن الشعر العراقي بعد

٢٠٠٣ شهد تنوعاً حقيقياً في استراتيجيات استحضار الذاكرة، حيث تتداخل السياقات الثقافية المختلفة من دينية وحضارية وسياسية واجتماعية لإنتاج خطاب مقاوم يحفظ الذاكرة الجمعية من النسيان والطمس.

الخاتمة

تكشف هذه الدراسة أن جدلية المركز والهامش في الشعر العربي الحديث ليست مجرد تمثيل رمزي لصراع اجتماعي، بل هي ممارسة خطابية فاعلة تُعاد عبرها صياغة علاقات القوة داخل النص ذاته. فقد أظهر التحليل، بالاستناد إلى مقاربة نورمان فيركلاف، أن البنية اللغوية لا تعمل بوصفها وعاءً محايدًا للمعنى، بل بوصفها آلية لإنتاجه وتوجيهه وإعادة توزيعه. ومن ثمّ، يصبح الشعر فضاءً تفاوضيًا تتقاطع فيه السلطة والهوية والذاكرة ضمن شبكة من العلاقات الدلالية المتحركة.

النتائج

١. يوظف الشعر العربي الحديث آليات لغوية دقيقة لإعادة إنتاج السلطة أو مساءلتها داخل البنية النصية.

٢. تتجلى جدلية المركز والهامش عبر تحولات الضمائر وبناء الفاعلية داخل الخطاب الشعري.

٣. يسهم الانزياح الدلالي في تفكيك البنى المهيمنة وإعادة توزيع المعنى.

٤. ترتبط الممارسات الخطابية في النص الشعري بسياقات اجتماعية وثقافية تسهم في تشكيلها وتوجيهها.

٥. تمثل جدلية المركز والهامش عملية دينامية مستمرة، وليست ثنائية مغلقة أو ثابتة.

المصادر والمراجع

١. ابن جمعة الغزل، عارف الساعدي: الشِّعرُ أوسعُ مِن كلِّ المدارسِ والاتجاهات، المقال المنشور على موقع جريدة الصباح، ٢٠٢٤/٠١/١٦م.

٢. ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.

٣. آل ياسين، محمّد حسين، ديوان آل ياسين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

٤. الإمارة، علي، أماكن فارغة، مطبعة دار الكتب، البصرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٥. الإمارة، علي، رسائل إلى الميدان، مطبعة الغدير للطباعة والنشر المحدودة، البصرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

٦. الإمارة، علي، قصورة البصرة. دار الكتب والوثائق، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

٧. الأمين، الشيخ هادي، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، مطبعة الآداب، النجف، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.

٨. بخشنده، مريم؛ خزعلي، إنسيه، دراسة تقنيات "علي الإمارة" الشعرية في مقاومة داعش، جامعة طهران، مجلة اللغة العربية وآدابها، المجلد١٩، العدد٣، ٢٠٢٣م.

٩. توفيق، عربية، الشاعر الكبير محمّد حسين آل ياسين قراءة نقدية في شعره، جامعة بغداد، مجلّة كلية الآداب، العدد٧١، ٢٠٠٥م.

١٠. ثربورن، جوران، إيديولوجية السلطة وسلطة الإيدئولوجيا، ترجمة: إلياس مرقص، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

١١. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة, ٢٠٠٢م.

١٢. الساعدي، عارف، الأعمال الشعرية الكاملة؛ رحلة بلا لون، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٩٩م.

١٣. الساعدي، عارف، قصائد العائلة، دار الكتب والوثائق، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢م.

١٤. الساعدي، عارف، الأعمال الشعرية الكاملة؛ جرة أسئلة (٢٠٠٩-٢٠١٢م).

١٥. الساعدي، عارف، الأعمال الشعرية الكاملة؛ جرة أسئلة (٢٠٠٩-٢٠١٢م)، الطبعة الاولى، ٢٠١٣م.

١٦. عبد الجليل، عبد القادر، علم الصرف الصوتي. دار أزمنة، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

١٧. العروي، عبد الله، مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

١٨. فان دايک، تون، الخطاب والسلطة. ترجمة: غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

١٩. فِركلاف، نورمَن، اللغة والسلطة، ترجمة: محمّد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

٢٠. فِركلاف، نورمَن، تحليل الخطاب (التحليل النصي في البحث الاجتماعي)، ترجمة: د.طلال وهبه، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٢١. فِركلاف، نورمَن، تحليل الخطاب النقدي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ.

الهوامش:

(١) الساعدي،عارف، الأعمال الشعرية الكاملة؛ جرة أسئلة، الطبعة الاولى، ٢٠١٣م، ص٢٢٩.

(٢) آل ياسين، محمّد حسين، ديوان آل ياسين، ج١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، ص٦٥.

(٣) علي خلف أحمد الإمارة (مواليد البصرة، ١٩٦٠م): شاعر وأديب وناقد عراقي بارز، يقيم في مسقط رأسه بالبصرة، تميز بقدرته الفريدة على الكتابة في جميع أشكال الشعر من العمودي والتفعيلي إلى قصيدة النثر والمحكي. من أبرز مؤلفاته "أماكن فارغة"، "لزوميات خمسة ميل"، "رسائل إلى الموصل". ينظر: بخشنده، مريم؛ خزعلي، إنسيه، دراسة تقنيات "علي الإمارة" الشعرية في مقاومة داعش، جامعة طهران، مجلة اللغة العربية وآدابها، المجلد١٩، العدد٣، ٢٠٢٣م، ص٢٢٣-٢٣٥.

(٤) الإمارة، علي، أماكن فارغة، مطبعة دار الكتب، البصرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص٣٤.

(٥) فِركلاف، نورمَن، تحليل الخطاب النقدي، ص٥٦.

(٦) الإمارة، علي، أماكن فارغة، ص٢١.

(٧) فان دايك، توين، الخطاب والسلطة. ترجمة: غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص٨٩.

(٨) آل ياسين، محمّد حسين، ديوان آل ياسين، ج٢، ص١٦٠.

(٩) فِركلاف، نورمَن، اللغة والسلطة، ترجمة: محمّد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م، ص١٨٦.

(١٠) الساعدي، عارف، الأعمال الشعرية الكاملة؛ رحلة بلا لون، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٩٩م، ص٦٧.

(١١) ثربورن، جوران، إيديولوجية السلطة وسلطة الإيدئولوجيا، ترجمة: إلياس مرقص، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م، ص٣٣.

(١٢) الإمارة، علي، أماكن فارغة، ص٢٧.

(١٣) عبد الجليل، عبد القادر، علم الصرف الصوتي. دار أزمنة، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص٣٠.

(١٤) الساعدي، عارف، قصائد العائلة، دار الكتب والوثائق، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢م، ص٥١-٥٢.

(١٥) آل ياسين، محمّد حسين، ديوان آل ياسين، ج١، ص٣١.

(١٦) فِركلاف، نورمَن، تحليل الخطاب (التحليل النصي في البحث الاجتماعي)، ترجمة: د.طلال وهبه، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص٦٣.

(١٧) واصل بن عطاء: مؤسس مذهب الاعتزال ورأس المعتزلة، اعتزل حلقة الحسن البصري فسُمي أتباعه بالمعتزلة، وقد نشر مذهبه في الآفاق عبر إرسال دعاة إلى المغرب وخراسان واليمن والجزيرة والكوفة وأرمينية، كان من أئمة البلغاء والمتكلمين، ويُلقب بالغزال لتردده على سوق الغزالين بالبصرة، وقد اشتهر بتجنبه حرف الراء في كلامه بسبب لثغة فيه، حتى كان يستبدل الكلمات التي فيها راء بغيرها، وله عدة تصانيف منها "المنزلة بين المنزلتين" و"معاني القرآن" وغيرهما. ينظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٢، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧١م، ص١٧٠.

(١٨) الإمارة، علي، قصورة البصرة. دار الكتب والوثائق، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٧، ص٢٦.

(١٩) الساعدي، عارف، الأعمال الشعرية الكاملة؛ رحلة بلا لون، ص٦٧.

(٢٠) ابن سيرين: محمد بن سيرين البصري، الأنصاري، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، من مؤلفاته كتاب (تعبير الرؤيا)، منتخب الكلام في تفسير الأحلام). ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، ج٦، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة, ٢٠٠٢م، ص١٥٤.

(٢١) الإمارة، علي، قصورة البصرة، ص٢٤.

(٢٢) آل ياسين، محمّد حسين، ديوان آل ياسين، ج٢، ص٦٧.

(٢٣) الإمارة، علي، قصورة البصرة، ص١٠٨.

(٢٤) فِركلاف، نورمَن، تحليل الخطاب النقدي، ص٨٥.

(٢٥) الساعدي،عارف، الأعمال الشعرية الكاملة؛ جرة أسئلة، ص٢٠١.

(٢٦) العروي، عبد الله، مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص٩.

(٢٧) الإمارة، علي، رسائل إلى الميدان، مطبعة الغدير للطباعة والنشر المحدودة، البصرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م، ص٣١.